﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ ﴾

هذا البحث مستل من دراستنا حول سورة يوسف عليه السلام وعلاقتها بحادث الهجرة النبوية الشريفة وفيه نفرق بين اللسان العربي واللسان العبري، أسأل الله العلي القدير أن ينفع به أهل الملة الآخرة والله ولي التوفيق.

قال تعالى في أول سورة يوسف: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ ﴾

دعني أتناول معك هذه الآية الكريمة بشيء من الدراسة العميقة الموجزة والتأمل، فلقد تناولت الآيات البينات حديثاً عن الكتاب والقرآن وصفته، وبدأت بالحروف المقطعة ألـــف. لام. را. الأمر الذي يستتبعه النظر في هذه الأمور كلها، فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: الحديث الحروف المقطعة

بدأت السورة بقوله تعالى ﴿ الٓرۚ ﴾ وهذه الحروف مقطعة ومعنى مقطعة أن كل حرف ينطق بمفرده. لأن الحروف لها أسماء ولها مسميات ، ولقد أوجز فضيلة الشيخ المرحوم محمد متولي الشعراوي هذا الأمر بقوله:

[... فالناس حين يتكلمون ينطقون بمسمى الحرف وليس باسمه.. فعندما تقول كتـــب تنطـــق بمسميات الحروف. فإذا أردت أن تنطق بأسمائها. تقول كاف وتاء وباء .. ولا يمكن أن ينطق بأسماء الحروف إلا من تعلم ودرس، أما ذلك الذي لم يتعلم فقد ينطق بمسميات الحروف ولكنه لا ينطق بأسمائها، ولعل هذه أول ما يلفتنا. فرسول الله ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولـــذلك لم يكن يعرف شيئا عن أسماء الحروف.

فإذا جاء ونطق بأسماء الحروف يكون هذا إعجازاً من الله سبحانه وتعالى .. بأن هذا القـــرآن موحى به إلي محمد ﷺ .. ولو أن رسول الله ﷺ درس وتعلم لكان شـــيئا عاديـــا أن ينطـــق بأسماء الحروف. ولكن تعال إلي أي أمي لم يـــتعلم .. أنـــه يـــستطيع أن ينطـــق بمـــسميات الحروف.. يقول الكتاب وكوب وغير ذلك .. فإذا طلبت منه أن ينطق بمسميات الحروف فإنه لا يستطيع أن يقول لك. أن كلمة كتاب مكونة من الكاف والتاء والألف والباء .. وتكون هـــذه الحروف دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في البلاغ عن ربه. وأن هذا القرآن موحى به من الله سبحانه وتعالى.

ونجد في فواتح السور التي تبدأ بأسماء الحروف. تنطق الحروف بأسمائها وتجد نفس الكلمـــة في آية أخرى تنطق بمسمياتها.

فألم في أول سورة البقرة نطقتها بأسماء الحروف ألف لام ميم. بينما تنطقها بمسميات الحروف في شرح السورة في قوله تعالى في أول سورة الشرح:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ﴾.وفي سورة الفيل في قوله تعالى في أول السورة:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ ﴾ .

ما الذي جعل رسول الله ﷺ.. ينطق "ألم" في سورة البقرة بأسماء الحروف .. وينطقها في سورتي الشرح والفيل بمسميات الحروف. لابد أن رسول الله عليه الصلاة والسلام سمعها من الله كما نقلها جبريل عليه السلام إليه هكذا. إذن فالقرآن أصله السماع لا يجوز أن تقرأه إلا بعد أن تسمعه. لتعرف أن هذه تقرأ ألف لام ميم والثانية تقرأ ألم .. مع أن الكتابة واحدة في الاثنين .. ولذلك لابد أن تستمع إلي فقيه ولا استمعوا إلي قارئ .. ثم بعد ذلك يريدون أن يقرءوا القرآن كأي كتاب. نقول لا .. القرآن له تميز خاص .. أنه ليس كأي كتاب تقرؤه .. لأنه مرة يأتي باسم الحرف. ومرة يأتي بمسميات الحرف. وأنت لا يمكن أن تعرف هذا إلا إذا استمعت لقارئ يقرأ القرآن. والقرآن مبني على الوصل دائما وليس على الوقف، فإذا قرأت في آخر سورة يونس مثلا: "وهو خير الحاكمين" لا تجد النون عليها سكون بل تجد عليها فتحة، موصولة بقول الله سبحانه وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم. ولو كانت غير موصولة لوجدت عليها سكون.. إذن فكل آيات القرآن الكريم مبنية على الوصل .. ما عدا فواتح السور المكونة من حروف فهي مبنية على الوقف .. فلا تقرأ في أول سورة البقرة: "ألم" والميم عليها ضمة. بل تقرأ ألفا عليها سكون ولاما عليها سكون وميما عليها سكون. إذن كل حرف منفرد بوقف. مع أن الوقف لا يوجد في ختام السور ولا في القرآن الكريم كله. وهناك سور في القرآن الكريم بدأت بحرف واحد مثل قوله تعالى: ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ ﴾ وقوله تعالى في سورة القلم ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾ . ونلاحظ أن الحرف ليس آية مستقلة. بينما "ألم" في سورة البقرة آية مستقلة. و:"حم". و: "عسق" آية مستقلة مع أنها كلمة حروف مقطعة. وهناك سور تبدأ بآية من خمسة حروف مثل "كهيعص" في سورة مريم .. وهناك سور تبدأ بأربعة حروف. مثل "المص" في سورة "الأعراف". وهناك سور تبدأ بأربعة حروف وهي ليست آية مستقلة مثل "ألمر" في سورة "الرعد" متصلة بما بعدها .. بينما تجد سورة تبدأ بحرفين هما آية مستقلة مثل: "يس" في سور يس. و"حم" في سورة غافر وفصلت .. و: "طس" في سورة النمل. وكلها ليست موصلة بالآية التي بعدها .. وهذا يدلنا على أن الحروف في فواتح السور لا تسير على قاعدة محددة. "ألم" مكونة من ثلاث حروف

تجدها في ست سور مستقلة .. فهي آية في البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم والسجدة ولقمان. و"الر" ثلاثة حروف ولكنها ليست آية مستقلة. بل جزء من الآية في أربع سور هي: يونس ويوسف وهود وإبراهيم .. و: "المص" من أربعة حروف وهي آية مستقلة في سورة "الأعراف" و "المر" أربعة حروف، ولكنها ليست آية مستقلة في سورة الرعد إذن فالمسألة ليست قانونا يعمم، ولكنها خصوصية في كل حرف من الحروف. وإذا سألت ما هو معنى هذه الحروف؟.. نقول أن السؤال في أصله خطأ .. لأن الحرف لا يسأل عن معناه في اللغة إلا إن كان حرف معنى .. والحروف نوعان: حرف مبني وحرف معنى. حرف المبنى لا معنى له إلا للدلالة على الصوت فقط .. أما حروف المعاني فهي مثل في. ومن .. وعلى .. (في) تدل على الظرفية .. و(من) تدل على الابتداء و(إلي) تدل على الانتهاء .. و(على) تدل على الاستعلاء .. هذه كلها حروف معنى. وإذا كانت الحروف في أوائل السور في القرآن الكريم قد خرجت عن قاعدة الوصل لأنها مبنية على السكون لابد أن يكون لذلك حكمة .. أولا لنعرف ﴿الم﴾ قول رسول الله ﷺ : "من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف".

ولذلك ذكرت في القرآن كحروف استقلالية لنعرف ونحن نتعبد بتلاوة القرآن الكريم أنا نأخذ حسنة على كل حرف. فإذا قرأنا بسم الله الرحمن الرحيم. يكون لنا بالباء حسنة وبالسين حسنة وبالميم حسنة فيكون لنا ثلاثة حسنات بكلمة واحدة من القرآن الكريم. والحسنة بعشر أمثالها. وحينما نقرأ "ألم" ونحن لا نفهم معناها نعرف أن ثواب القرآن على كل حرف نقرؤه سواء فهمناه أم لم نفهمه .. وقد يضع الله سبحانه وتعالى من أسراره في هذه الحروف التي لا نفهمها ثوابا وأجرا لا نعرفه. ويريدنا بقراءتها أن نحصل على هذا الأجر.. والقرآن الكريم ليس إعجازا في البلاغة فقط. ولكنه يحوي إعجازا في كل ما يمكن للعقل البشري أن يحوم حوله. فكل مفكر متدبر في كلام الله يجد إعجازا في القرآن الكريم. فالذي درس البلاغة رأى الإعجاز البلاغي، والذي تعلم الطب وجد إعجازا طبيا في القرآن الكريم. وعالم النباتات رأى إعجازا في آيات القرآن الكريم، وكذلك عالم الفلك.. وإذا أراد إنسان منا أن يعرف معنى هذه الحروف فلا نأخذها على قدر بشريتنا .. ولكن نأخذها على قدر مراد الله فيها .. وقدراتنا تتفاوت وأفهامنا قاصرة. فكل منا يملك مفتاحاً من مفاتيح الفهم كل على قدر علمه .. هذا مفتاح بسيط يفتح مرة واحدة وآخر يدور مرتين .. وآخر يدور ثلاث مرات وهكذا .. ولكن من عنده العلم يملك كل المفاتيح، أو يملك المفتاح الذي يفتح كل الأبواب.. ونحن لا يجب أن نجهد أذهاننا لفهم هذه الحروف. فحياة البشر تقتضي منا في بعض الأحيان أن نضع كلمات لا معنى لها بالنسبة لغيرنا .. وأن كانت تمثل أشياء ضرورية بالنسبة لنا. تماما ككلمة السر التي تستخدمها الجيوش لا معنى لها إذا سمعتها. ولكن بالنسبة لمن وضعها يكون ثمنها الحياة أو

الموت .. فخذ كلمات الله التي تفهمها بمعانيها .. وخذ الحروف التي لا تفهمها بمـــرادات الله فيها. فالله سبحانه وتعالى شاء أن يبقى معناها في الغيب عنده. والقرآن الكريم لا يؤخذ علـــى نسق واحد حتى نتنبه ونحن نتلوه أو نكتبه. لذلك تجد مثلا بسم الله الرحمن الـــرحيم مكتوبـــة بدون ألف بين الباء والسين. ومرة تجدها مكتوبة بالألف في قوله تعالى في أول سورة العلق:

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾

وكلمة تبارك مرة تكتب بالألف ومرة بغير الألف .. ولو أن المسألة رتابة في كتابة القـــرآن لجاءت كلها على نظام واحد. ولكنها جاءت بهذه الطريقة لتكون كتابة القرآن معجزة وألفاظه معجزة. ونحن نقول للذين يتساءلون عن الحكمة في بداية بعض السور بحروف .. نقـــول إن لذلك حكمة عند الله فهمناها أو لم نفهمها .. والقرآن نزل على أمة عربية فيها المؤمن والكافر .. ومع ذلك لم نسمع أحداً يطعن في الأحرف التي بدأت بها السور. وهذا دليل علـــى أنهـــم فهموها بملكاتهم العربية .. ولو أنهم لم يفهموها لطعنوا فيها. وأنا انصح مـــن يقـــرأ القـــرآن الكريم للتعبد .. ألا يشغل نفسه بالتفكير في المعنى. أما الذي يقرأ القرآن ليستنبط منه فليقـــف عند اللفظ والمعنى .. فإذا قرأت القرآن لتتعبد فاقرأه بسر الله فيه .. ولو جلست تبحـــث عـــن المعنى .. تكون قد حددت معنى القرآن الكريم بمعلوماتك أنت. وتكون قد أخذت المعنى ناقصا نقص فكر البشر .. ولكن اقرأ القرآن بسر الله فيه. إننا لو بحثنا معنى كل لفظ فـــي القـــرآن الكريم فقد أخرجنا الأمي وكل من لم يدرس اللغة العربية دارسة متعمقة من قـــراءة القـــرآن. ولكنك تجد أميا لم يقرأ كلمة واحدة ومع ذلك يحفظ القرآن كله. فإذا قلت كيف؟ نقول لك بسر الله فيه. والكلام وسيلة إفهام وفهم بين المتكلم والسامع. المتكلم هو الذي بيده البداية، والسامع يفاجأ بالكلام لأنه لا يعلم مقدما ماذا سيقول المتكلم .. وقد يكون ذهن السامع مـــشغولا بـــشي آخر .. فلا يستوعب أول الكلمات .. ولذلك قد تنبهه بحروف أو بأصوات لا مهمـــة لهـــا إلا التنبيه للكلام الذي سيأتي بعدها. وإذا كنا لا نفهم هذه الحروف. فوسائل الفهم والإعجاز فـــي القرآن الكريم لا تنتهي، لأن القرآن كلام الله. والكلام صفة من صفات المـــتكلم .. ولـــذلك لا يستطيع فهم بشري أن يصل إلي منتهى معاني القرآن الكريم، إنما يتقرب منها. لأن كلام الله صفة من صفاته .. وصفة فيها كمال بلا نهاية. فإذا قلت إنك قد عرفت كـــل معنـــى للقـــرآن الكريم .. فإنك تكون قد حددت معنى كلام الله بعلمك .. ولذلك جاءت هذه الحـــروف إعجـــاز لك. حتى تعرف إنك لا تستطيع أن تحدد معاني القرآن بعلمك.. أن عدم فهم الإنسان لأشياء لا يمنع انتفاعه بها .. فالريفي مثلا ينتفع بالكهرباء والتليفزيون وما يذاع بالقمر الصناعي وهو لا يعرف عن أي منها شيئا. فلماذا لا يكون الله تبارك وتعالى قد أعطانا هـــذه الحـــروف نأخـــذ فائدتها ونستفيد من أسرارها ويتنزل الله بها علينا بما أودع فيها من فضل سواء أفهـــم العبـــد

المؤمن معنى هذه الحروف أو لم يفهمها. وعطاء الله سبحانه وتعالى وحكمته فوق قدرة فهم البشر .. ولو أراد الإنسان أن يحوم بفكره وخواطره حول معاني هذه الحروف لوجد فيها كل يوم شيئا جديدا. لقد خاض العلماء أن ذلك هو الحق المراد من هذه الحروف .. بل كل منهم يقول والله أعلم بمراده. ولذلك نجد عالما يقول (ألر) و(حم) و(ن) وهي حروف من فواتح السور تكون اسم الرحمن .. نقول إن هذا لا يمكن أن يمثل فهما عاما لحروف بداية بعض سور القرآن .. ولكن ما الذي يتعبكم أو يرهقكم في محاولة إيجاد معان لهذه الحروف؟! لو أن الله سبحانه وتعالى الذي أنزل القرآن يريد أن يفهمنا معانيها .. لأوردها بمعنى مباشر أو أوضح لنا المعنى. فمثلا أحد العلماء يقول إن معنى (ألم) هو أنا الله اسمع وأرى .. نقول لهذا العالم لو أن الله أراد ذلك فما المانع من أن يورده بشكل مباشر لنفهمه جميعا .. لابد أن يكون هناك سر في هذه الحروف .. وهذا السر هو من أسرار الله التي يريدنا أن ننتفع بقراءتها دون أن نفهمها.. ولابد أن نعرف أنه كما أن للبصر حدوداً. وللأذن حدوداً وللمس والشم والتذوق حدوداً، فكذلك عقل الإنسان له حدود يتسع لها في المعرفة .. وحدود فوق قدرات العقل لا يصل إليها. والإنسان حينما يقرأ القرآن والحروف الموجودة في أوائل بعض السور يقول إن هذا أمر خارج عن قدرته العقلية .. وليس ذلك حجراً أو سداً لباب الاجتهاد .. لأننا إن لم ندرك فإن علينا أن نعترف بحدود قدراتنا أمام قدرات خالقنا سبحانه وتعالى التي هي بلا حدود. وفي الإيمان هناك ما يمكن فهمه وما لا يمكن فهمه .. فتحريم أكل لحم الخنزير أو شرب الخمر لا ننتظر حتى نعرف حكمته لنمتنع عنه. ولكننا نمتنع عنه بإيمان أنه مادام الله قد حرمه فقد أصبح حراما.

ولذلك يقول رسول الله ﷺ : "ما عرفتم من محكمه فاعملوا به، وما لم تدركوا فآمنوا به" يقول سبحانه وتعالى في آل عمران ٧: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ .

إذن فعدم فهمنا للمتشابه لا يمنع أن نستفيد من سر وضعه الله في كتابه .. ونحن نستفيد من أسرار الله في كتابه فهمناها أم لم نفهمها.

ثانياً الحديث عن الكتاب والقرآن

إن القرآن الكريم.. كتاب الله ووحيه المبارك يقول سبحانه وتعالى في فصلت٣:

﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣ ﴾.

القرآن.. كلام الله المنزل، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود،يقول سبحانه وتعالي في سورة الشعراء ١٩٢ـــ ١٩٥: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ ﴾.

أحسن الكتب نظاماً، وأبلغها بياناً، وأفصحها كلاماً، وأبينها حلالاً وحراماً ..يقول سبحانه وتعالى في سورة فصلت ٤٢:

﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢ ﴾

ويقول سبحانه وتعالى في سورة النساء ١٦٦:

﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦ ﴾.

أنزله الله رحمة للعالمين، وحجة على الخلق أجمعين، ومعجزة باقية لسيد الأولين والآخرين .. أعز الله مكانه، ورفع سلطانه، ووزن الناس بميزانه ..من رفعه؛ رفعه الله، ومن وضعه؛ وضعه الله، [قَالَ عُمَرُ أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ] رواه مسلم حديث رقم ١٣٥٣ .

وكتاب الله الكريم كما يقول النبي ﷺ فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم ..

[عَنْ الْحَارِثِ قَالَ مَرَرْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ فِي الْأَحَادِيثِ فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَرَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَاضُوا فِي الْأَحَادِيثِ قَالَ وَقَدْ فَعَلُوهَا قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ فَقُلْتُ مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا [إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ] مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ].

هكذا في سنن الدرامي ج ٢ ص ٤٣٥ ، كتاب فضائل القرآن ومع اختلاف يسير في ألفاظه في صحيح الترمذي ج ١١ ص ٣٠ أبواب فضائل القرآن حديث رقم ٢٨٣١

وهو دليل النبي ﷺ على صدق نبوته ، وعلى أنه رسول الله جل علاه، وأنه عليه الصلاة والسلام كان يعرف معنى إعجاز القرآن وكيف يُتَحَدى به ، وأن التحدي الذي تضمنته آيات التحدي المذكورة في سورتي البقرة وهود وغيرها ، إنما هو تحد بلفظ القرآن ونظمه وبيانه فقط ، وليس بشيء خارج عن ذلك، فما هو بتحد بالإخبار بالغيب المكنون ولا بالغيب الذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله ، ولا بعلم مالا يدركه علم المخاطبين به من العرب ،ولا بشيء من المعاني مما لا يتصل بالنظم والبيان وإن كان كل ذلك من بعض مكوناته، ولكن الله جل علاه طالب العرب بأن يعرفوا دليل نبوة رسوله ﷺ بمجرد سماع القرآن الكريم، نعم مجرد السماع، وقد بين الله سبحانه وتعالى في غير آية من كتابه الكريم أن سماع القرآن فقط يقتضيهم إدراك معاينته لكلامهم وأنه ليس من كلام البشر، بل هو من كلام رب العالمين.

﴿ ٱلْكِتَٰب ﴾

اسم جنس أو مفرد في موضع الجمع، وورد﴿ ٱلْكِتَٰب ﴾في القرآن الكريم٢٣٠ مائتين وثلاثين مرة ، رسمت جميعها بغير الألف الطويلة ، حُذفت ونُبّه بألف صغيرة وهي بمعنى القرآن الكريم ، أو الكتب السماوية المعروفة صحف إبراهيم ، زبور داود ، التوراة ، الإنجيل ، ولم ترد بالألف الطويلة إلا منكّرة وغير معرفة بـ أل في أولها ، وذلك في أربع آيات في آية ٣٨ ،٣٩ الرعد والحجر ٤ والكهف ٢٧ وأول النمل ، وذلك على النحو التالي :

١ـ الرعد ٣٨ ،٣٩ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾.

والمعنى أنه لكل أجل مُدّة وكتاب مكتوب فيه تحديده .

٢ـ الحجر٤ : ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ ﴾.

وكتاب هنا بمعنى أجل معلوم محدود لإهلاكها .

٣ــ الكهف ٢٧ :ـ ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٧ ﴾.

٤ــ النمل ١ :ـ ﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ١ ﴾.

وأضيفت كتاب إلى الضمائر : كاف المفرد المخاطب ، أو الجمع (كم) أو المتكلمين (نا) أو المفرد الغائب (الهاء) أو المفردة المؤنثة (ها) أو الجمع المذكر الغائب (هم) أو ياء المتكلم المذكر ، وكلها رُسمت بغير الألف الطويلة ونُبّه عنها بالألف القصيرة ، وذلك على النحو التالي :

الإسراء ١٤ : ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤ ﴾.

الصافات ١٥٧ : ﴿ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٥٧ ﴾.

الجاثية ٢٩ :

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩ ﴾.

الإسراء ٧١ : ﴿ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ٧١ ﴾.

الحاقة١٩ :ـ ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠ ﴾.

الانشقاق ٧ ــ ١٠ : ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ ﴾.

النمل ٢٨ ، ٢٩ : ﴿ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ٢٨ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ ﴾.

﴿ ٱلْقُرْءَان ﴾

و كلمة قُرْءَان وردت ١٠ مرات بهذا الرسم ففي يونس ٦١ على سبيل المثال:

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾

وقد حذفت ألف الـ قُرْءَان في موضعين ، هو فيهما مرادف للكتاب : ﴿ قُرْءَٰنًا ﴾،وذلك في سورة يوسف ١ ،٢ والزخرف ١ ،٢ ،٣ على النحو التالي :

يوسف ١ ،٢ : ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾.

الزخرف ١ـ٣ : ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ ﴾.

والضمير في الموضعين هو ضمير الكتاب المذكور قبله .

ثالثاً: صرحت هذه الآية أن لغة كتاب الله هي اللغة العربية ، ولماذا اللغة العربية بالذات ؟ وما هي خصائص هذه اللغة حتى تكون أداةً وقالباً لكلام الله سبحانه وتعالى ، قال عليه الصلاة والسلام :

أحبوا العربية لثلاث ، لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي .

ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾.

لابد أن تكون اللغة العربية لها خصائص موضوعية تجعلها من أرقى اللغات الإنسانية ، وإذا قلّ شأنها في العصور الحديثة فلضعف شأن أصحابها ، وإذا قيل إنّ هذه اللغة تعد أوسع لغة في العالم فلأن أصحابها اعتنوا بها ورفعوا من شأنها ، لكنّ اللغة العربية باعتراف فقهاء اللغة الأجانب من أوسع اللغات الإنسانية تصرفاً ومن أرقاها ، وسوف أبين بعض خصائص هذه اللغة .

يقول أمير المؤمنين عمر ﷺ عنه : تعلموا العربية فإنها من الدين .

وتعلم اللغة العربية وتعلم الدين شيء واحد ، بل إنّ اللغة العربية والدين صنوان لا يفترقان .

ولقد قسم بعض العلماء اللغات الإنسانية إلى أقسام ثلاثة : اللغات المنعزلة ، واللغات الإلصاقية ، واللغات التحليلية .

معنى المنعزلة هذه اللغة تشبه لغة أهل الصين ،بمعنى أن الكلمة لا تتبدل ولا تتغير ولا يضاف عليها ولا تصرف وليس منها فعل ولا فاعل ولا اسم فاعل ولا فعل مضارع ولا فعل أمر ولا مصدر ولا صفة مشبهة ولا اسم مكان ولا اسم زمان ، هذه الكلمة لا سواها ، وهذه هي لغات الشعوب البدائية ويمكن أن تنطوي لغة الصين تحت هذا القسم .

وهناك نوع آخر من اللغات ، إنها اللغات الإلصاقية منها اللغة اليابانية والروسية واللغة التركية ، أي أنها تضيف حرفاً فتغير المعنى ، فاللغة الروسية على سبيل المثال لو أخذنا اسم أحد الزعماء وهو نيكيتا جريفيتش خروشوف ، نجدهم يضيفون المقطع (يتش) إلى اسم الأب والمقطع (وف) إلى اسم الجد ويجردون الاسم الأول من أية إضافة) وهكذا تجد اسم الرئيس الراحل عزت بيجوفيتش إسماعيلوف، والكل يعلم ما معنى كلمة أدب سيس ، عقل يوك ، يعني هذه لغة إلصاقية تضيف حرفاً أو حرفين فتعطي عكس المعنى .

لكنّ اللغة العربية وبعض اللغات التحليلية تعد من أرقى اللغات الإنسانية، مثلاً عَرَفَ فعل ماض ، يَعرف فعل مضارع ، أَعرف فعل أمر ، عرّف هذا فعل مزيد ، نقول قطع وقطّع ، كسر وكسّر ، وغلّقتِ الأبواب ، غلّق الباب بمعنى أرتجه ، أما غلق الباب بمعنى رده ، إذاً هناك وزن فعل ووزن فعّل ، هناك وزن تفاعل ، فاعل ، كاتب ، راسل ، قاوم ، دافع ، فهناك مشاركة ، فعرف وعرّف وتعرّف وتعارف وعرف والعُرف والعرف والأعراف والعراف والتعريف والعرفان والمعرفة والعارف ، أي أنّ الكلمة الواحدة يوجد منها فعل ماض ، فعل مضارع ، فعل أمر ، مزيد على الثلاثي بحرف مثلاً فعّل ، بحرفين تفاعل ، بثلاث استفعل ، هناك اسم فاعل عارف ، اسم مفعول معروف ، اسم آلة ، اسم تفضيل أعرف ، اسم زمان ، اسم مكان ، صفة مشبهة لاسم الفاعل ، هذه كلها مشتقة من مادة عرف وعلى هذا فقس علم ، يعلم ، اعلم ، عالم ، معلوم، علاّم ، عليم ، تعليم .

فاللغة العربية تمتاز بأنها لغة تحليلية متصرفة ، فمثلاً باللغات الأجنبية الكتاب **book** ، والطاولة **table** ، وكتب **write** ، أما باللغة العربية كتب ، مكتب ، كتاب ، من أسرة واحدة .

لا أريد من هذه التفصيلات أن يكون هذا الكلام درساً في اللغة العربية ، ولكن أريد أنّ أقول حينما جعل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم عربياّ إنّ في اللغة العربية خصائص موضوعية تجعلها من أرقى اللغات الإنسانية .

هناك شيء آخر في اللغة العربية ألا وهو الإعراب ، الإعراب يعني حركة واحدة تغير المعنى مثلاً قال تعالى في سورة فاطر ٢٧ :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾

العلماءُ فاعل مؤخر ، ولفظ الجلالة منصوب على أنه مفعول به مقدم ، بوضع الضمة على كلمة العلماء معناها هي الفاعل ، ووضع الفتحة على لفظ الجلالة معناها مفعول به منصوب على التعظيم مفعول به ، إذاً بحركة واحدة يتبدل المعنى مثلاً يقول سبحانه وتعالى في التوبة :

﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ﴾

بحسب التصور وكلمة الله هي العليا ، لو قلنا كلمة الله هي العليا المعنى فاسد لأنه جعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني كانت عليا فجعلها سفلى وكلمةَ اللهِ هي العليا يعني كانت سفلى فجعلها عليا المعنى فاسد ويقول سبحانه وتعالى تكملة الآية الكريمة :

﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

فتحريك أواخر الكلمات بحركات هي حروف مد مخطوفة ، هذا شيء يضفي على اللغة العربية دقة بالغة لذلك ظاهرة الإعراب ظاهرة أساسية في اللغة العربية ، من هنا قالوا إنّك تفهم النص فتقرأه صحيحاً ، لكنك في بعض اللغات الأخرى تقرأ فتفهم ، أما عندنا تفهم فتقرأ، لابدّ من أن تكون عينك على كلمة لاحقة حتى تحسن قراءتها ، قالت له : يا أبت ما أجملُ السماء، قال : نجومها ، قالت : لست أريد هذا ، أريد أنّ السماء جميلة ، قال : قولي ما أجملَ السماء ! بينما أجملُ السماء لهل معنى ، وما أجملَ السماء لها معنى آخر .

فظاهرة الإعراب ظاهرة راقية جداً في اللغة العربية ، مثلاً إذا أردت أن تقول إنّ زيداً ضرب عمرواً ، من دون إعراب يجب أن تقول أنَّ الذي ضرب عمرواً هو زيدٌ ، إذا قلت ضرب زيدٌ عمرواً بهذه الضمة جعلته فاعلاً ، وبهذه الفتحة جعلته مفعولاً به ، إذاً ظاهرة الإعراب ظاهرة دقيقة جداً .

هناك التحريك أيضاً مثلاً البَر والبُر والبِر ، البَر يعني اليابسة ، والبُر هو القمح ، والبِر هو الإحسان ، بالبِر يستعبد الحُر ، قدَم وقدُم وقدِم ، قدَم بمعنى سبقه بقدمه ، وقدُم أصبح قديماً ، وقدِم بمعنى حضر ، خلْق وخُلُق وخلِق ، خلِق بمعنى مضطرب ، خُلُق بمعنى الأخلاق ، الخلْق بمعنى البنية ، كان عليه الصلاة والسلام حَسَنَ الخَلْقِ والخُلُق ، أمثلة كثيرة يَثني لها معنى و يُثني لها معنى ، يَثني بمعنى يطوي ، أما يُثني بمعنى يمدح ، الفرق حركة واحدة ، إذاً هذه الحركات تضفي دقة بالغة على الكلمات ، هذه ظاهرة من ظواهر اللغة العربية :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾

شيء آخر قال بعض علماء فقه اللغة : إنّ هناك ظاهرة في اللغة العربية دقيقة جداً وهي مناسبة الحروف لمعانيها ، أي كل كلمة فيها حرف سين فيها شيء داخلي ، إحساس داخلي كان تقول نفس ، حس ، إنس ، لمس، همس ، وسوسة ، سر أية كلمة فيها حرف السين فيها شيء داخلي يجول في النفس ، وأية كلمة فيها حرف غين مثلاً غائب ، في غيبوبة ، ليس أمامنا ، غيبة تتحدث عنه في غيبته ، غيب شيء لم يقع بعد ، غامض غير واضح ، غريب ليس من هذا البلد ، أي أنّ أية كلمة فيها حرف الغين فيها معنى الغيبوبة والاستتار ، أية كلمة فيها حرف الراء فيها معنى التكرار جرّ ، مرّ، كرّ ، فرّ ، والذي يغرق قال بعض العلماء: لِمَ نقول للذي يغرق غرق لأنّه غاب عن الأنظار وضعنا الغين ، تتالى سقوطه وضعنا الراء ، ارتطم بقاع البحر وضعنا القاف ، طرق ، لصِق، عبِق ، هناك حركة عنيفة في القاف ، هذه الظاهرة اسمها مناسبة الحروف لمعانيها ، واللغة العربية وحدها تنفرد بهذه الظاهرة ، أي وسوسة، زقزقة ، كلمة زقزقة لو لم تعرف معناها أصوات هذه الكلمة تشعرك بمدلولها .

هناك أيضاً الاشتقاق الكبير أي هناك اسم فاعل ، اسم مفعول ، هناك صيغ مبالغة لاسم الفاعل نقول فعّال يعني كذّاب ، يعني كثير الكذب ، كذوب على وزن فعول ، رحيم على وزن فعيل ، فاروق على وزن فاعول ، حذِر ، قلِق ، مرِن ، قذِر على وزن فعِل ، أي أنّ هناك صيغ مبالغة لاسم الفاعل ، واسم فاعل ، اسم مفعول ، اسم مكان ، اسم زمان، اسم آلة قال تعالى في سورة الإسراء ٨٠ : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾

لم يقل الله عز وجل مَدخل صدق ، المَدخل اسم مكان من دخل ، أما مُدخل اسم مكان من أدخل ، مادام إدخال إذاً مُدخل ، إخراج مُخرج ، إن كان إخراج قصري هذا مُخرج ، إذا خروج طوعي هذا مَخرج ، عندنا أيضاً اشتقاق كُبّار هو النحت مثلاً سبحل ، سبحان الله اختصرت بكلمة سبحل، أدام الله عزك اختصرت بكلمة دمعز ، لا حول ولا قوة إلا بالله اختصرت بكلمة حوقل ، لا إله إلا الله اختصرت بكلمة هلل ، الله أكبر اختصرت بكلمة كبّر ، يعني سبحل ودمعز وحوقل و هلل وكبّر وحمدل وحيعل أي قال : حي على الفلاح ، إذاً في اللغة العربية اشتقاق صغير وكبير وكبّار وتصريف وتحليم وتكبير ، مثلاً كل واحد منا يستطيع أن يصوغ مصدراً صناعياً ، أية كلمة أضف إليها ياء مشددة وتاء مربوطة تصبح مصدراً صناعياً ، الجمهورية الشعبيّة ، الطلابيّة، العنصريّة ، الوطنيّة ، القومية ، إذاً هذا الذي أنقله لكم لا على سبيل الحصر ، بل على سبيل المثال ، شيء آخر أنّ أصوات هذه اللغة ثابتة فهم يسمون لغتنا لغة الضاد لأنّ أوسع مدْرج صوتي في لغات العالم هي اللغة العربية ، ليس في لغات الأرض لغة واحدة فيها حرف الضاد :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾

يوجد عندنا في اللغة العربية الضاد وعندنا الدال ، الطاء حرف مفخم ، والتاء حرف مرقق ، كل واحد حرف ، والصاد حرف مفخم ، والسين حرف مرقق ، عندنا صاد وسين ، عندنا ضاد ودال، عندنا طاء وتاء ، عندنا سين وزاي ، هذه حروف منوعة ، عندنا شيء آخر ليس في لغات الأرض كلها من دون استثناء أمة يقرأ طلابها شعراً قيل قبل ألف وخمسمائة عام إطلاقاً ، طلابنا في الصف العاشر يقرؤون شعر امرئ ألقيس وقد قيل قبل ألف وخمسمائة عام ، أما الإنجليز فشكسبير شاعرهم الشهير توفي في القرن السادس عشر ولا يستطيع إنسان بريطاني واحد أن يقرأ شعر شكسبير كما كتبه ، شعر شكسبير مترجم من اللغة الإنجليزية القديمة إلى اللغة الإنجليزية الحديثة ، أما أن يقرأ طلابنا شعراً قيل قبل ألف وخمسمائة عام ثبات اللغة العربية ، ثبات أصواتها ، ثبات كلماتها ، ثبات قواعدها :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾

ترادف اللغة العربية ظاهرة فريدة ، مثلاً تقول نظر إلى الشيء معروف ، معلوم عندكم معنى هذا الفعل ، لكن عندنا فعل رأى ، رأى تشمل النظر بالعين ورؤية القلب ، عندنا فعل حدّج أي نظر مع المحبة ، قال ﷺ:

" حدِّث القوم ما حدّجوك بأبصارهم "

حدّج أي نظر مع المحبة، رنا نظر مع الاستمتاع، نظرت إلى البحر تقول رنوت إليه، شخَص نظر مع الخوف قال تعالى في سورة الأنبياء ٩٧:

﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

نظر شذراً مع الاحتقار ، استشف نظر مع اللمس ، استشرف نظر مع التمطي ، حدّج نظر مع المحبة ، بحلق اتسعت حدقة العين ، حملق ظهر حملاق عينه ، هناك حملق وبحلق وحدّق وحدّج ونظر شذراً وشخَص واستشف واستشرف ونظر ورأى ورنا ، كل فعل يعني حالة خاصة من حالات النظر قال تعالى :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾

ينبغي أن نعتز بهذه اللغة ،

وقف أمام النبي الكريم رجل يقرأ فلحن في قراءته فقال ﷺ: أرشدوا أخاكم فإنّه قد ضلْ .

أرشدوا أخاكم ، كان ﷺ أفصح العرب ، لذلك قال العلماء : إنّ أفصح كلام بعد القرآن الكريم كلام النبي عليه ﷺ ، أنا أفصح العرب قال بيد أنّي من قريش ، قريش أفصح القبائل وهذا أسلوب اسمه أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم ، أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ، إنّ من البيان لسحراً وإنّ من الشعر لحكمة ، هكذا قيل .

والمتأمل في قوله تعالى في سورة يوسف موضع الدراسة يجد الثراء اللفظي في قوله تعالى:

﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٥﴾

حيث جاء التعبير عن زوج امرأة العزيز بسيدها ولم يقل بزوجها أو بعلها أو صاحبها ، وفي نفس الآية جاء تحديد العقوبة على لسان امرأة العزيز بالسجن فما الفرق بين الحبس و السجن و الإمساك و التوقيف و الإثبات و الحجر و الرباط، ثم هماك ملمح آخر وهو رسم كلمة (لدى الباب) جاء بصورة مغايرة لما عليه الرسم كله، فهذه البحوث اللغوية مما سنلقي الضوء عليها لترى مدى تميز اللغة العربية وثرائها.

بعل– زوج– سيّد – صاحب

بعل: يُطلق على الذكر في العلاقة الزوجية، تُطلق عندما يُشار إلى خاصيّة الفحولة الجنسية للرجل (مرتبطة بالعملية الجنسية الحلال بين الرجل والمرأة) والبعولة آنيّة، والغيرة تتعلق بالبعولة.

يقول تعالى في هود : ٧٢ ﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢﴾ .

ويقول تعالى في البقرة ٢٢٨:

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ﴾

والبعل هو المكان المرتفع العالي الذي لا يناله السيل وأُخذ من استعلاء الرجل على المرأة فهو سائسها والقائم عليها.

سيّد: عندما يصبح الأمر والنهي والملك هو المحكّم بين الزوجين. وسمّي الزوج سيداً لسياسة زوجته ﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾.

كل امرأة كفؤ لأيّ رجل وليس كل رجل كفؤاً لأيّ امرأة، ويقال سيّد القوم الذي يتولّى الجماعة وتطلق على كل من كان فاضلاً في نفسه.

زوج: يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في كل المخلوقات يقول سبحانه وتعالى في سورة القيامة ٣٩: ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ﴾.

ويقول سبحانه وتعالى في الذاريات ٤٩: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

فقانون الموجودات في الكون كلّه الزوجية، والزوجية تقتضي فناً في حسن السلوك اليومي فيما بين الزوجين وتجاوز عن الأخطاء ليبقى التواؤم في الحياة الزوجية.

ويقول سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب ٢٨:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾. توحي الحقوق والمودّة وهي أرقى الدرجات في العلاقة الزوجية وهي الصحبة والزوجية.

صاحب: الصاحب هو رفيق الطريق وهو الملازم والمصاحبة قد تكون بالبدن أو بالعناية والهمّة والمصاحبة تقتضي طول ألّلبث فيقول الله سبحانه وتعالى في سورة عبس ٣٦:

﴿ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾.

والاصطحاب أوسع من الاجتماع فكل اصطحاب اجتماع وليس كل اجتماع اصطحاب. الاصطحاب يلزم أُنساً ومواساة وائتمان وثقة وأمن.

وفي القرآن الكريم إذا وردت كلمة (امرأة) فهي تشير إلى علاقة رسمية تنعدم فيها المودّة (امرأة نوح وامرأة فرعون امرأة العزيز).

حبس – سجن – إمساك – توقيف – إثبات – حجر – رباط

هذه المنظومة كلها في عمليات الحبس ومراحله ولكل كلمة معنى خاصاً بها تتميّز عن غيرها من كلمات المنظومة. والحبس ليس نوعاً واحداً ولا له مرحلة واحدة بل لكل مرحلة اسم. ونستعرض فيما يلي هذه الكلمات ومعنى كل منها على حدة:

الإمساك: وهو المنع عن التخلية والإرسال وهو أول مرحلة من مراحل الحبس لأن أول ما يفعله رجال الشرطة في حق متهم هو أن يمسكوا به والإمساك يكون بلا جراح أي لا يحصل مواجهة بين المتهم والشرطة.يقول سبحانه وتعالى في سورة فاطر ٢:

﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ ﴾.

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ ﴾. سورة البقرة آية ٢٢٥.

﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥ ﴾. سورة النساء آية ١٥.

الإثبات: إذا تمّت عملية الإمساك لكن مع جراح ومواجهة أو إذا حاول الممسوك الهروب فأُطلق عليه النار فأُرهق عن الفرار يسمى إثباتاً .

﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠ ﴾. سورة الأنفال آية ٣٠.

التوقيف: سواء كانت العملية إمساكاً أو أثباتاً بعد الإصابة بجرح يعيقه من الفرار يوضع الممسوك في التوقيف.

﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤ ﴾. سورة الصافات آية ٢٤،

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧ ﴾. سورة الأنعام آية ٢٧.

الحبس: بعد التوقيف تأمر الشرطة بحبس الممسوك على ذمة التحقيق وفي هذه المرحلة يكون الحبس مؤقتاً لأن الممسوك يروح ويجيء إلى التحقيق وجلسات الاستماع وغيره وهذه المرحلة تكون قبل صدور الحكم على الممسوك. لذا هذه الفترة تكون مؤقتة وقصيرة وليس فيها عنت.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ

ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ .

سورة المائدة آية ١٠٦

وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨﴾ . سورة هود آية ٨.

السجن: بعد أن يُحكم على الممسوك بالعقوبة المناسبة ويُحكم بسجنه لمدة محددة قد تطول أو تقصر حسب القضية. وتسمى هذه المرحلة السَجن بفتح السين والمكان الذي يُنفّذ فيه الحكم السِجن بكسر السين.

وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ . سورة يوسف آية ٢٥، وردت في الآية كلمة السجن أي بمعنى المكان الذي يسجن فيه وهو بكل غلظته أهون عليه من الوقوع في الفاحشة ولم يقل السَجن بمعنى العقوبة والسجن يؤلّف بين المساجين فكان يوسف عليه السلام ينصح أصحاب السجن ويؤل لهم أحلامهم ويتحدث معهم. هذه القصة وقعت قبل ٢٠٠٠ عام قبل الميلاد ونحن الآن آخر عام ٢٠٠٥ بعد الميلاد، وفي خلال هذه السنوات العديدة ٤٠٠٠ سنة كان بعض الناس وما يزالون يزجّون في السجن بدون حبس سابق أو محاكمة حتى يموت المسجون أو يُطلق سراحه بعد سنين عديدة قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ . سورة يوسف آية ٣٢.

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ . آية ٤٢.

وأهون على الإنسان أن يُحبس ٥٠ عاماً من أن يُسجن بلا محاكمة ولمدة غير محددة ولهذا في الشرع يجب أن يعرف السجين الحكم عليه ومدة الحكم.

وكلمة السجّين من مشتقات كلمة السجن يقول سبحانه وتعالى في سورة المطففين آية ٧ :

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧ ﴾ . ، والفرق بينهـا وبـين الـسجن أن السجن ليس فيه تعذيب أما السجّين فكله تعذيب ويُلقى السجين في غياهب السجن مثل الأشغال الشاقة في الدنيا وعذاب جهنم في الآخرة.

الحِجر: يختلف عن الحبس بالمعنى فالحبس يعني منع المتّهم من رؤية الناس أما فـي حالـة الحِجر فهو منع الناس من رؤية المتهم تماماً كما يحصل في حالة الحجر الـصحي للمـصاب بداء معدي حتى لا يعدي غيره من الناس فيُوضع في الحَجر أو في حالة من مُنع من التصرف بماله وأحواله يقول سبحانه وتعالى سورة الفرقـان آيـة ٢٢ ﴿ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ۝٢٢ ﴾.

ويسمّى ما يحاط بالحجارة حِجراً وبه سُمّي حِجر الكعبة وديار ثمود يقول سبحانه وتعالى في سورة الحجر ٨٠:﴿ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٨٠ ﴾.

ويقال حجر الممنوع منه بتحريمه يقول سبحانه وتعالى في سورة الأنعام ١٣٨:

﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ۝١٣٨ ﴾.

ويقال للعقل حجر لكون الإنسان في منع منه مما تدعوه إليه نفسه يقول سبحانه وتعـالى فـي سورة الفجر ٥:﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥ ﴾.

الرباط: وهو محبس الخيل. عندما تُوقف الخيل في سبيل الله توضع في مكان يسمى الرباط يقول سبحانه وتعالى في سورة الأنفال ٦٠:﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا

تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

سنن أبي داوود حديث ٢١٣٩:[حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي أَبُو هَانِئٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كُلُّ الْمَيِّتِ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيُؤَمَّنُ مِنْ فَتَّانِ الْقَبْرِ].

وقد استعير هذا اللفظ لمحبس الجيش ففي العصور السابقة لم يكن هناك جيش نظامي فلما صار هناك جيش نظامي أصبح هناك ثكنات يُحبس فيها الجيش فإذا كانت هذه الثكنات على حدود العدو تسمى رباط ومنها ما أطلقه الرسول ﷺ على أرض فلسطين (هم في رباط إلى يوم الدين).

والحبس هو أخطر على السلطة القضائية أو التنفيذية فحبس إنسان ولو يوماً واحداً بدون وجه حق أو تأخير إطلاق سراحه إهمالاً أو ظلماً بعد انتهاء مدة عقوبته.

جاء في صحيح البخاري حديث رقم ٢١٩٢ عن امرأة دخلت النار فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا ظلماً:

[حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ قَالَ فَقَالَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لَا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلَا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ].

وفي رواية أخرى (فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا). ٣٢٢٣

[حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ].

وهناك نوعان من الحبس: الحبس الشريف والحبس الخسيس.

أما أشرف أنواع الحبس فهي الأوقاف وهو ما يُسمى في الشريعة الإسلامية(الحُبُس) وهي ما يوقف الناس من أملاكهم وأموالهم وخيولهم للخير في سبيل الله أو في طلب العلم أو المساجد أو غيره. والأوقاف هي من أشرف أنواع الحُبُس فإذا حبس أحدهم خيلاً في سبيل الله فإن كل حركات الخيل وطعامه وشرابه فيه أجر لمن أوقفه في سبيل الله. ومال الحُبُس أو الأوقاف من الأموال الثلاثة المحميّة في الإسلام: مال بيت المال ومال اليتيم ومال الحُبُوس.

أما أخسّ أنواع الحبس وأخطرها نوعان: الدّين لأن نفس المؤمن معلّقة بدينه لا ترتفع إلا إذا وفّي وصاحبه يُحبس عند باب الجنة حتى يُقضى دينه. لذا فقد كان جزاء من يبرئ الدين عظيماً في الإسلام لأنه يُنقذ صاحبه من عذاب البرزخ.

وثاني أخطر أنواع الأحباس: الغنى، لأن الغني، يّحبس إذا كان حوله من كان محتاجاً أو مديناً أو جائعاً أو فقيراً فلم يعطهم أو يدفع عنهم، فيجب على الغني أن يُخصص جزءاً من ماله الذي يزيد على حاجاته لقضاء حاجيات المحتاجين من حوله وعليه أن يتحرى ليعلم المحتاجين من حوله من أهل وأقارب وجيران وغيرهم.

ومن الأحباس الجميلة في الدنيا الحبس الاختياري كأن تحبس المرأة نفسها عن الزواج بعد وفاة زوجها لتربية أولادها مثلاً. وقد قيل الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

الشهوة – الهوى – الحب – الشغف – الغرام – الهيام – الود

كل هذه الكلمات السابقة هي من منظومة الحب في القرآن الكريم ويضاف إليها كلمتي: (الشوق والعشق) ولكنهما لم تردا في القرآن الكريم.

الشهوة : هي ميل النفس إلى ما يتلذذ به حسياً أو نفسياً، وهو كل شيء ترتاح له النفس سواء كان حسياً مثل النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، أو نفسياً مثل السلطان والجاه والبغي والظلم والقهر وغيرها.

والشهوة يجب أن تكون في محلها أي في كل شيء حلال.

وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تتضمن كلمة الشهوة ومشتقاتها ومنها قوله تعالى في الزخرف ٧١: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

ويقوله تعالى في سبأ ٥٤: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾ ﴾.

وفي الطور ٢٢: ﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

وفي الواقعة ٢١: ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

وفي المرسلات ٤٢: ﴿ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

الهوى: إذا كانت الشهوة في غير محلها تسمى الهوى، كأن تشتهي امرأة لا تحل لك أو تشتهي مالا ليس لك. ولم ترد كلمة الهوى ومشتقاتها في القرآن الكريم إلا من باب الذم. وهناك فرق بين ما تشتهيه الأنفس (فقد يكون حلالاً أو حراماً) وبين ما تهواه الأنفس (لا بد أن يكون حراماً) وهذه الآيات تبين كلمة الهوى ومشتقاتها في القرآن الكريم حيث يقول الحق في سورة البقرة ٨٧:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

وفي المائدة ٧٠: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾. وفي النجم ٢٣: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾.

وفي النساء ١٣٥: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾.

وفي ص٢٦: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

وفي النجم ٣: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾.

وفي النازعات ٤٠: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾.

الحب: هو تعلق القلب بما هو كريم ومطلوب، وتعلق القلب بكل شيء كريم وفيه فخر وليس مذموماً فقد يكون فخراً أو مجداً أو من مكارم الأخلاق أو من اللذائذ المشروعة.

ولقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز صفات الذين يحبهم والذين لا يحبهم، والحب على عكس الهوى لأن الحب هو تعلق القلب بما ليس مذموماً والهوى تعلق القلب بما ليس محموداً.
والآيات التالية تتضمن كلمة الحب ومشتقاتها ففي البقرة ١٩٥:

﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾.

وفي البقرة ٢٢٢: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢ ﴾.

وفي(آل عمران:٣١، ٧٦، ٩٢، ١٣٤، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٢)و(النور:٢٢) و(القيامة:٢٠)و (الصف:١٣).

الشغف: قد يكون الحب مؤقتاً لفترة زمنية محددة ولكن عندما ينفذ الحب إلى القلب ويستقر به ويملك على الإنسان حواسه وتفكيره يسمى شغفاً، وكل شغف حب وليس كل حب شغف.
وقد جاء في قصة سيدنا يوسف مع امرأة العزيز التي أحبته طوال فترة شبابه في القصر أي أكثر من عشرة أعوام حتى تملك حبه في قلبها وملك عليها حواسها لذا جاءت الآية الكريمة(يوسف:٣٠)، بلفظ (شغفها) للتعبير عن الحالة التي كانت بها ولم يكن حبا عابرا ولا نزوة وليدة اللحظة.

﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ ﴾.

الغرام:هذا الحب الذي وصل إلى مرحلة الشغف، إذا كان قاهراً حتى استولى المحبوب على من يحب وتحول الحب إلى فناء في المحبوب يسمى غراماً. فإذا فني المحب في محبوبه وأصبح المحب مسيطراً على المحبوب سيطرة كاملة وأصبح المحبوب رهن إشارة المحب فهذا هو الغرام. إذن الغرام هو حب انقلب إلى أسر. ولهذا كان ذكر عذاب جهنم في القرآن بـ(غراما) دليل على أن عذاب جهنم قاهر مذل، لا يفنى ولا يزول ولا ينفك، كما جاء في قوله تعالى في الفرقان ٦٥: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ ﴾.

وفي الواقعة ٦٦: ﴿ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ٦٦ ﴾.

الهيام:هذا الغرام إذا تطور والمحبوب تدلل على الحبيب ولم يستجب له واضطرمت النار في أحشاء المحب يؤدي هذا إلى الهيام.

والهيام لغة مأخوذة من الهيم أي الإبل الشاردة في الصحراء والهائمة على وجهها فإذا عطشت عطشاً عظيماً وشربت، انفجرت.

وفي آيات القرآن الكريم ورد ذكر كلمة الهيام ومشتقاتها في الآيات التالية ففي الشعراء ٢٢٥:

﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ ﴾.

وفي الواقعة ٥٥: ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾.

الودّ: كل هذا الذي ذكر إذا كان موجوداً بين يديك وقد تطبق مع الوصل يسمى حبا وشغفا وهياما، أما إذا كان مع الهجر فهو الود، فالود هو أمنية، تحب بعيداً أو شيئاً تتمناه ولم يحدث بعد أو أمنية لن تتحقق أبداً .

وفي القرآن الكريم آيات عديدة لكلمة الود ومشتقاتها ففي البقرة ٩٦: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

وفي البقرة ١٠٥ ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

وفي البقرة ١٠٩: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

وفي آل عمران ١١٨: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

وفي النساء ٤٢: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾ ﴾.

وفي الحجر ٢: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾.

وفي مريم ٩٦:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ ﴾.

وفي المعارج ١١:

﴿ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ ﴾.

وفي القلم٩: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

وتبقى كلمتان لم تردا في القرآن الكريم ولكنهما من ضمن منظومة الحب:

الشوق: ويكون لحبيب مسافر أو لغائب.

العشق: وهو الحب الذي شاع وذاع صيته وانتشر بين الناس.

والله تعالى في كتابه العزيز أورد صفات الذين يحبهم فعلينا أن نكون منهم لأن من أحبــه الله لم يدخله نار جهنم ومن منا لا يريد هذه المكرمة من رب العباد، الجواد الكريم؟.

أبّ ، والد

أبّ : كلمة أبّ في القرآن الكريم لها معناها الخاصّ بها والذي يؤدي المعنى المطلوب في الآيات القرآنية. وكلمة أبّ تدلّ على الأبوة بحكم تربية الأب لأولاده والأبوّة هي باعتبار قدرة الإنسان على تربية أولاده ومسؤوليته عنهم ورعايته لهم وكذلك الأم تُسمّى أماً باعتبار رعايتها لأولادها وتربيتها لهم وقيامها بواجباتها نحوهم.

والأبوّة فيها اختلاف ولا يتساوى اثنين في أبوّتهم لأبنائهم فهناك الأب الحنون ففي يوسف جاء التعبير على لسان إخوته ﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ وهناك الأب الظالم والأب المتسامح والأب المفرّط والأب الفوضوي وغيرهم إذن فالأبوة غير منضبطة وهي أمر خاص بكل إنسان.

ويسمى كل من كان سبباً في إيجاد شيء أو صلاحه أو ظهوره أباً ولذلك سمّي النبي ﷺ أبا المؤمنين ولهذا قال تعالى في سورة الأحزاب ٦:

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾.

ويُسمى العم مع الأب أبوين يقول سبحانه وتعالى في سورة البقرة ١٣٣:

﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾. وإسماعيل لم يكن من آبائهم وإنما كان عمّهم، وكذلك الأم مع الأب حيث يقول سبحانه وتعالى في سورة النساء ١١: ﴿ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ ﴾ والمقصود بقوله تعالى ﴿ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ ﴾ أي الأب والأم.

وكذلك الجدّ مع الأب، حيث يقول الله تعالى في سورة يوسف ٣٨: ﴿ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ﴾. وكما يقال للأب يقال للأم ولهذا قيل لحواء أمنا وإن كان بيننا وبينها أزمان وأجيال عديدة. واستعملت كلمة الأم في القرآن للوح المحفوظ قال تعالى في الزخرف٤:

﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾، ولمكة المكرمة كما في قوله تعالى في الأنعام ٩٢: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ وتُسمّى الفاتحة أم الكتاب.

ومن لفظ الأم جاءت كلمة الأميّ أي كما ولدته أمه لا يقرأ ولا يكتب.

والد: كلمة والد في القرآن الكريم تعني كل من هو قادر على الإنجاب.وهي إذن باعتبار قدرة الله تعالى في الإنسان بأنه سبحانه خلق في الإنسان القدرة على الإنجاب ولا يفعل ذلك إلا ربّ. وأي رجل قادر على الإنجاب يُسمّى والداً وأي امرأة قادرة على الإنجاب تُسمّى والدة. إذن الوالدية منضبطة وفيها يتساوى كل القادرين على الإنجاب والكل ينجب بنفس الطريقة والكل متساوون من حيث كونهم والدين. وليس كل والد أبّ وليس كل والدة أم. ومن هذا المعنى لكلمة الأب والأم والوالد والوالدة نفهم الآن الحكم الشرعي في قوله تعالى في سورة الإسراء ٢٣، ٢٤: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ

عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ، لأن البِّر يجب أن يكون للوالدين الذين أنجبا مهما حسنت تربيتهما لأولادهما أو ساءت ولو قال تعالى بالأبوين إحسانا لما استحق كل الآباء والأمهات البِّر إذن الحكم الشرعي هو البر بالوالدين حتى لو لم يُحسنوا تربية الأولاد وحتى لو جاهدا أولادهم على الشرك والمعصية. وفي قوله تعالى في سورة لقمان ١٤:

وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ أنه عنى سبحانه الوالد الذي ولده.

وفي القرآن آيات كثيرة وردت فيها كلمة والد وجاء الحثّ على رعاية الوالدين بعد الإيمان بالله والتوحيد لأنهما كانا سبباً في إيجاد الأولاد ولهم عليهم حق الطاعة وإن كانوا كافرين أو جاهدوا على الكفر بالله.

وفي قصة مريم علها السلام وعيسى عليه السلام قال تعالى في سورة مريم على لسان عيسى٣٢: وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وجاء في في سورة المائدة ٧٥: مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ في وصف مريم عليها السلام لأنها أحسنت تربية عيسى عليه السلام وكانت رائعة ومتفانية في تربيته فجاء بكلمة (أم) للدلالة على ذلك.

وفي قوله تعالى في سورة البلد آية ٣: وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ أقسم سبحانه بمطلق قدرته على جعل هذا المخلوق والداً يلد الأولاد وهذا يشمل كل من هو قادر على الإنجاب وهو لفظ أعمّ من الأبوة.

والوالدية مُطلقة وعليه فيجب البر بالوالدين ولو كانوا مشركين أما الأبوة فهي خاصة وكل أب وأم تختلف تربيتهما لأولادهما عن غيرهم.

بدا – ظهر – طلع – بزغ – برز

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥ ﴾

بدا: تُقال إذا كان الشيء خفيّاً ثم يظهر بجلاء ظهوراً غير متوقع. والكلمة مأخوذة من البادية (من بدا جفا) والبادية تكون على مدّ البصر لا ترى شيئاً من حولك وعلى حين غـرة تـرى رجلاً ينتصب أمامك واضحاً وليس هناك ما يستتر به عنك. وقد ورد في القرآن الكريم فـي قوله تعالى في سورة الزمر ٤٧، ٤٨: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ٤٧ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤٨ ﴾ وهي تدل على أنه على غفلة رأى كل أعماله وسيرى شيئاً لم يكن يخطر بباله. وفي الأعراف٢٢، وطه ١٢١، وآل عمران ٢٩،والنساء ١٤٩، والأنعام ٢٨،والجاثيـة ٣٣، والنور ٣١.

ظهر: إذا كان الشيء متوقعاً يُقال له ظهر وهي عكس بدا.

يقول سبحانه وتعالى في الأنعام١٥١:

﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ ﴾ .

ويقول في الأعراف ٣٣:

﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ ﴾

ويقول سبحانه وتعالى في التوبة ٨:

﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨ ﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى في الكهف ٢٠:﴿ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذٗا أَبَدٗا ٢٠ ﴾ .

وفي الفتح ٢٨: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ .

وفي الروم ٤١: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

طلع: عندما تقع عينك على الشيء لأول مرة. كأن نقول للشمس أول ما تظهر نقول طلعت الشمس فإذا ارتفعت يُقال أشرقت.

يقول سبحانه وتعالى في الكهف ١٧: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ﴾. ويقول سبحانه وتعالى في طه ١٣٠:

﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾.

ويقول سبحانه وتعالى في القدر ٥: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴿٥﴾ ﴾.

بزغ: إذا بدا من الشيء رأسه وتُقال لسنّ الطفل ساعة يشق اللثة، وتُقال للشمس أول ما تبرز في السماء بزغت الشمس.

وفي قوله تعالى في قصة إبراهيم ﷺ في سورة الأنعام٧٧ ، ٧٨: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

هذا يدل على أن إبراهيم ﷺ كان يسخر من قومه لعبادتهم، فهو ما إن بزغ القمر والنجم والشمس قال مقولته ولم ينتظر إلى أن تكبر هذه النجوم وتذهب في الأفق وهذا يدل على حكمة إبراهيم ﷺ.

برز: مأخوذة من البراز أو الفضاء ويُقال تبرّز بمعنى تغوّط والأصل فيه أن يذهب الإنسان لقضاء حاجته لوحده دون أن يكون معه أو يراه أحد. ويُقال برز فلان لفلان في المعركة

بمعنى أن يخرج من كل جيش مقاتل يبارز مقاتلاً آخر من العدو بدون أن يساعدهما أحد. وفي القرآن الكريم قال تعالى في سورة إبراهيم ٢١:

﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ٢١ ﴾.

ويقول سبحانه وتعالى في إبراهيم ٤٨:

﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨ ﴾.

أي برزوا جميعاً لله تعالى ليس معهم شيء ولا أحد ليس معه مؤيّد ولا ناصر، وهكذا في البقرة ٢٥٠ وآل عمران ١٥٤، والنساء ٨١، والكهف ٤٧، والشعراء ٩١، وغافر ١٦.

﴿ ٱمۡرَأَت ﴾

تكون مضافة وبعدها مضاف إليه هو زوجها، كما هو الحال في يوسف و آل عمران والقصص والتحريم وذلك على النحو التالي:

يوسف ٣٠: ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾

يوسف ٥١: ﴿ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ﴾

آل عمران ٣٥: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ ﴾

القصص ٩: ﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩ ﴾

التحريم ١٠: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠ ﴾

التحريم ١١: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ ﴾نلاحظ هنا أن (امرأة) وردت في سبعة مواضع وكلها رسمت بالتاء المفتوحة وهي في خمس من النساء : امرأت عمران ، امرأت العزيز ، امرأت فرعون امرأت نوح وامرأت لوط ، يقول الإمام الحافظ بدر الدين محمد الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القرآن " تعليقاً على التاء المفتوحة بقوله : (كلها ممدودة تنبيهاً على فعل التَبعُّل والصحبة وشدة المواصلة والمخالطة والائتلاف في الموجود والمحسوس ..وأربع منهن منفصلات في بواطن أمرهن عن بعولتهن بأعمالهن .. وواحدة خاصة واصلت بعلها باطناً وظاهراً وهي امرأت عمران فجعل الله لها ذرية طيبة ، وأكرمها بذلك وفضلها على العالمين .. وواحدة من الأربع انفصلت بباطنها عن بعلها طاعة لله ، وتوكلاً عليه وخوفاً منه ، فنجاها وأكرمها وهي امرأت فرعون .. واثنتان منهن انفصلتا عن أزواجهما كفراً بالله فأهلكهما الله ودمرهما ، ولم ينتفعا بالوصلة الظاهرة مع أنها أقرب وصلة بأفضل أحباب الله ﷻ كما لم تضرّ امرأت فرعون وصلتُها الظاهرة بأخبث عبيد الله ،وواحدة انفصلت عن بعلها بالباطن إتباعا للهوى وشهوة نفسها ، فلم تبلغ من ذلك مرادها ، مع تمكنها من الدنيا واستيلائها على من مالت إليه بحبها وهو في بيتها وقبضتها ، فلم يغنِ ذلك عنها شيئا ، فهذه كلُّها عبر وقعت بالفعل في الوجود في شأن كل امرأة منهن ، فلذلك مدت تاءاتهن) ، أما إذا جاءت امرأة منكرة وغير مضافة تكتب بالتاء المربوطة (الهاء) كما هو الحال في قولـــه تعالى في سورة الأحزاب آية ٥٠ والنساء آية ١٢٨ على النحو التالي :

الأحزاب ٥٠: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠ ﴾

النساء ١٢٨: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ ﴾

وهناك ملاحظة أخرى بخلاف ما قاله الإمام الزركشي تتعلق بالتاء المفتوحة والخاصة بالمرأة ، فالله ﷻ حينما ذكر امرأت العزيز وفرعون ولوط ونوح لم يقل زوجة العزيز وفرعون ولوط ونوح، والسر في ذلك والله تعالى أعلم بمراده هو أنه لكي يتعين على المرأة أن تحصل على لقب زوجة أن يشترط فيها شروط أربع : وهي السكن ، والمودة ، والرحمة ، والذرية .

شروط السكن و المودة والرحمة

يقول ﷻ في سورة الروم آية ٢١ : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةٗۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾

يقول ﷻ في أول سورة الممتحنة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ ﴾

فامرأت نوح وامرات لوط وفرعون والعزيز انعدمت المودة بينهن وأزواجهن فكل منهن امرأة وليست زوجة .

شرط الذرية

يقول ﷻ في سورة النحل: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

فالذرية شرط أساسي لكي تحصل المرأة على لقب زوجة ، ولك أن تتأمل قوله تعالى في سورة القصص على لسان امرأت فرعون والتي حرمت من النسل :

﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

وقبل أن تلد زوجة إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وتصيح صيحة الدهشة بعد أن بشرتها الملائكة بأنها ستلد غلاماً اسمه إسحاق وأنها ستعيش حتى ترى حفيدها منه واسمه يعقوب ، فهذه ذرية وحفدة ، فتأمل قوله تعالى في سورة هود آية ٧٢ حيث وصفها الله بأنها امرأت إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام :

﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾

ونقرأ قوله ﷻ حكاية عن سيدنا زكريا عليه السلام في سورة مريم ٨:

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ﴾

وبعد أن استجاب الله ﷻ لدعائه ووهب له يحي أخذت امرأته لقب زوجة يقول ﷻ في سورة الأنبياء ٩٠ : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟

﴿ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾

فشرط الذرية والمودة هما الباعثان على الرحمة والسكن.

ويستثنى من هذا كله زوجات النبي ﷺ لقوله ﷻ في سورة الأحزاب :

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ ﴾

ولأنهن لسن كأحد من النساء أفرد الله لهن هذا الخطاب في سورة الأحزاب الآيات٣٠:

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ﴾.

١٢ــ لم يأت بجواب لمّا حيث جاء في سورة يوسف ١٥ :

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥ ﴾

فأين جواب لمّا ؟ .

جواب لما محذوف هنا للدلالة على فجاعة الأمر وفظاعته وهي صنعة شائعة في الكلام فإذا أراد المتكلم أن يصف أمراً فظيعا فيشرع في بيان أسبابه والأحوال التي تؤدي إليه ثم إذا بلغ نفس الحادثة سكت سكوتا عميقا فيدل بذلك على عِظم الأمر.

﴿ سِيمَاهُم ــ وــ لَدَا ﴾

١ ــ كلمة سِيمَاهُمْ وردت في المصحف الكريم ست مرات ، اثنتان منها رسمتا الألف فيها ياءاً وذلك في الأعراف ٤٦ ،٤٨ وذلك على النحو التالي :

الأعراف ٤٦:

﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦ ﴾

الأعراف ٤٨:

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨ ﴾

٢ ــ وثلاثة مواضع جاءت محذوفة الياء في البقرة ٢٧٣ ، محمد ٣٠ والرحمن ٤١ وذلك على النحو التالي :

البقرة ٢٧٣: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَىٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٢٧٣ ﴾

محمد ٣٠:

﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٠ ﴾

الرحمن ٤١: ﴿ يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَىٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ٤١ ﴾

٣ ــ ومرة واحدة جاءت مرسومة بالألف في سورة الفتح آية ٢٩ هكذا :

﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ ﴾.

وتعليل ذلك والله ﷻ أعلم بمراده ، هو أن الفتحات الطويلة المرسومة ياء جاءت ثابتة في الرسم حين تتوسط دون أن تتعرض لظاهرة حذف الألف التي تمثل الفتحة الطويلة، وهو ما يشير إلى أن تلك الياء كانت تلفظ في الأصل ياء الفعل ،وأنها أخذت خصائص رمز الياء حين يراد إثباتها في وسط الكلمات فالياء التي هي فتحة طويلة في اللفظ جاءت وكأنها نفس رمز الياء التي تنطق ياء إذ أنها ظلت ثابتة في الرسم في كل حالات توسطها في مثل :ٱصۡطَفَىٰ الموجودة في البقرة ٢٤٧ : ﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ ﴾ .

ومثل يَنْهَاهُم الموجودة في المائدة ٦٣ :﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

ومثل مُنتَهَاهَآ الموجودة في النازعات ٤٤ :﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ ﴾

ومثل تَخْشَاهَا الموجودة في النازعات٤٥: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن تَخْشَىٰهَا ﴾

ومثل دَعْوَاهُم الموجودة في الأعراف ٥ ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾

فإن الياء التي هي فتحة طويلة في اللفظ جاءت ثابتة في كل ذلك ،أما كلمة سِيمَاهُمْ فتم كتابتها في الأعراف:

الأعراف ٤٦:﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

والأعراف ٤٨:﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

وحذفها من البقرة ومحمد والرحمن:

ففي البقرة ٢٧٣:﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَىٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾

ومحمد ٣٠: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾

والرحمن٤١: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَىٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ ﴾

ومرة واحدة جاءت مرسومة بالألف في سورة الفتح آية ٢٩ على لغة أهل الحجاز وذلك جرياً على قاعدة حذف الياء هكذا: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾.

ويبدو والله أعلم ــ أن ذلك هو سبب مجيء كلمة (لدى) مرسومة بالألف في موضع يوسف آية ٢٥

﴿ لَدَا ٱلْبَابِ ﴾وبالياء في موضع غافر أية ١٨ ﴿ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾ ويبدو أن ذلك أيضـــاً سبباً لمجيء كلمـــة رَأَى مرسومة بألف واحدة رَءَا في هود ٧٠ والنمل ٤٠ والأنعام ٧٧ ، ٧٨ وذلك على النحو التالي :

هود ٧٠ :﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

الأنعام ٧٧، ٧٨:﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ مع الاحتفاظ

إلي جانب ذلك بصورة لغة قريش في موضعين النجم ١١ــ ١٨: كالتالي

النجم ١١ــ ١٨: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾.

ظاهرة المشترك اللفظي

في اللغة العربية ظواهر غريبة جداً منها مثلاً ظاهرة المشترك اللفظي، فعلى سبيل المثال:

الضلال والضلالة: هو كل طريق لا يؤدي إلى المقصود كالذي يدور في حلقة مفرغة يقول سبحانه وتعالى في مريم ٧٥: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا ﴾ متى ما سلك الإنسان سبلاً أخرى غير السبيل الصحيح فهو لن يصل إلى المقصود فهو ضالّ لأنه لا بد من الاتجاه نحو الهدف عن طريق السبيل الصحيح يقول سبحانه وتعالى في يوسف ١٠٨ ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ ويقول سبحانه وتعالى في الأنعام ١٥٣:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾

والضلال نسبي وقد يُصاب به الصالحون كما جاء على لسان موسى عليه السلام في الشعراء ٣٠: ﴿ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠ ﴾، ومطلق وهو ضلال العقيدة كعبادة الأصنام ونحوها ويُطلقها تعالى على الكافرين غير الموحدين كما في قوله تعالى في الشعراء ٨٦: ﴿ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ ﴾، وقد تأتي ضلّ بمعنى تاه كما في الكهف ١٠٤: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ ﴾، لم يكن سعيهم في الطريق المرسوم.

وقد تأتي كلمة ضل بمعنى شدة الحب ، كما في كل سورة يوسف حيث يقول سبحانه وتعالى في يوسف ٨: ﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ﴾

فلا يتصور أحد أن أبناء يعقوب يصفون أباهم النبي بأنه على ضلالة ولكن صفة الوجد والحب لأخيهم يوسف كانت غير خافية على أحد فلقد كان يعقوب عليه السلام ظاهر الحب ليوسف لذلك رأيناهم هم أنفسهم حينما جاء ذكر يوسف على لسان أبيهم بقوله: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤ ﴾ قالوا على الفور وبدون تفكير ولا تردد ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥ ﴾.أي قسماً بالله

انك مازلت تعيش في حبك العتيق ليوسف وأبداً لن تنساه وأن تلك السنين الطوال لم تخفف من نسيانك له؟.

هذا بالنسبة ليعقوب عليه السلام فماذا عن امرأة العزيز؟، تأمل قول النسوة:

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾.

وطبعاً من سياق الأحداث كلها تستطيع أن تدرك معنى قولهم:

﴿ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ أي إنها لفي حب عظيم واضح جلي مبين.

وعليه فأنت تستطيع أن تفهم معنى الضلال الذي كان عليه النبي محمد ﷺ في قوله تعالى:

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾أي ووجدك محباً لله فهداك إلى صراطه المستقيم .

يشري : وكذلك كلمة يشري لها معنيان متعاكسان يبيع ويشتري قال تعالى في لقمان ٦ :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾

فكلمة يشري جاءت هنا بمعنى يبيع ، كلمة المولى مثلاً تأتي بمعنى السيد والعبد ، مولاي يا سيدي ، ومولاي عبدي ، كلمة ظنّ بمعنى أيقن أو شك وهذا علم كبير وواسع ليس مجاله هنا وإنما تقتبس من ما يتناسب وسياق السورة وروح الدراسة حتى لا نتوسع .كما أنه توجد ظاهرة في اللغة اسمها التضاد ، مثلاً سميت الصحراء المخيفة مفازاً بمعنى أن الإنسان لا يفوز فيها ولا يربى ، سميت مفازة على عكس واقعها تفاءلاً لمن كان فيها بالفوز ، وسمي الملدوغ من أفعى أو عقرب سليماً تفاؤلاً له بالسلامة هذا التضاد .

ومما سبق نلاحظ أنه بدون التفريق بين الكلمات وأخواتها في القرآن الكريم لا يمكننا الوصول إلى حقيقة الحكم الشرعي.

هذا غيض من فيض ، وهناك كتب تزيد عن أربعمائة صحيفة كلها في خصائص اللغة العربية ، والبحث متعلق بعلم فقه اللغة ، هذا العلم يؤكد أنّ الله سبحانه وتعالى اختص هذه اللغة لكلامه ، فشَرُفت بكلام الله ، وشَرُفنا بانتسابنا لهذه اللغة وانتسابنا لهذه الأمة ، إذا خصص الإنسان جزءاً من وقته لتعلم العربية فسوف يجد أحكاماً دقيقة جداً ، ففهم كتاب الله تعالى يحتاج إلى تعلم اللغة العربية ، لمعرفة الكلام ، أنواع الكلام ، ماذا تعني هذه الكلمة ، ماذا تعني هذه العبارة ، لمَ هذه الكلمة منصوبة ، لمَ هي مفتوحة ، لمَ مجرورة .

إن اللغة العربية من أرقى اللغات الإنسانية باعتراف كبار علماء اللغة الأجانب ، يرون أن اللغة العربية من أوسع اللغات الإنسانية في التعبير ومن أشدها مرونة وقدرة على استيعاب كل الأشياء الغريبة عنها ، أي أنّ اللغة العربية الآن استوعبت كل منجزات العصر الحديث ومع ذلك ترى من الناس من يستعلي باستخدام الكلمات الأجنبية ، وهذه نزعة شعوبية نعوذ بالله منها.

والشيء الذي يلفت النظر أنّ القصة كفن أدبي بلغت أعلى مستواها في هذه العصور ، فتعد القصة الآن من أكبر فنون الأدب وأوسع الفنون انتشاراً ولها مقومات فنية دقيقة دقة بالغة ، هناك مجلدات تدرس فنّ القصة ، بحث الشخصيات ، تصوير الشخصيات ، الشخصيات التحليلية ، الشخصيات التمثيلية ، بحث عن الحوار وأنواع الحوار والسرد والوصف والحوار التمثيلي والحوار التحليلي وعرض خبايا النفس من خلال الحوار وبحث عن البيئة وتفاعلها مع الشخصيات والحوادث وبحث عن حبكة القصة وعن تقديم هذا الحدث وعن تأخيره ، إنّ قصة سيدنا يوسف فيها كل المقومات الفنية للقصة الحديثة من دون إخلال بالغرض الديني ، بالعكس إنّ الخصائص الفنية لهذه القصة تعد في خدمة الغرض الديني لها ، هذا درس لنا إذا أردت أن تدعو إلى الله عز وجل ليكن كلامك بليغاً ، ليكن كلامك رائعاً ، ليكن مسبوكاً سبكاً حسناً ، فإذا سخّرت خصائص الفن التعبيري لمضمون بليغ فقد حققت هدفاً نبيلاً ، ماذا تجد ؟ تجد شاعراً كبيراً سخّر طاقاته اللغوية والأدبية لأهداف خسيسة ، لوصف نزواته الشخصية ، لوصف مشاعره تجاه امرأة ، لوصف امرأة ، هذه القدرات البلاغية واللغوية والأدبية سخّرت لأغراض دنيئة وقد تجد إنساناً يؤمن بالله عز وجل وينطوي على أفكار وعقائد في غاية الأهمية إذا أراد أن يعرضها لا يقوى على عرضها عرضاً بيانياً رائعاً لذلك يُنَفِّرُ الناس منها ، فإذا سخرت القدرات اللغوية والأدبية والفنية لعرض الحق عرضاً واضحاً دقيقاً جذاباً مؤثراً سحرياً فقد حققت الكمال في المضمون والشكل .

بقي سؤال واحد نطرحه على كل من في قلبه شك من هذا القرآن ومن رسالة سيدنا محمد ﷺ: هل بقي الرسول الكريم ﷺ متذكراً جميع كلمات القرآن طيلة ٢٣ سنة؟ فإذا كان أعظم كتاب الأدب والشعر ينسى ما كتبه في اليوم التالي، فكيف بنبي أمي لا يقرأ ولا يكتب؟ ولو كان هذا النظام البيني المبهر من صنع محمد، فلماذا لم يفتخر به أمام قومه ويكشفه لهم؟

إن اكتشاف تناسق ونظام لغوي في كتاب أُنزل قبل أربعة عشر قرناً لهو إثبات مادي على أن هذا القرآن منزل من الواحد الأحد سبحانه.

مر بك أن اللغة العربية هي لسان واللسان آية من آيات الله سبحانه وتعالى، يقول سبحانه وتعالى في سورة الروم٢٢: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ويقول عز وجلّ في سورة النحل ١٠٣: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

فاللسان غير اللغة ، اللسان آية من آيات الله سبحانه وتعالى أما اللغة في أدوات التعبير عن المعاني التي ترد في الأذهان إذ أن المعني يرد أولاً ثم نوجد الأدوات التي تعبر عن المعنى بلسان كل أمة من الأمم فاللسان السنسكريتي ومنه مشتقات اللغات الهندية القديمة يختلف عن اللسان اللاتيني والذوي منه مشتقات اللغات الأوربية كلها مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية وهو يختلف عن اللسان العربي، وهكذا دواليك.

بعد هذه المقدمة القصيرة ماذا أريد أن أقول؟.

إن اليهود كشعب لم يكن لهم لسان خاص بهم وإنما هم وجدوا كرعايا دول يتحدثون بلغاتهم فيهود روسيا يتحدثون الروسية ويهود الحبشة يتحدثون الحبشية ويهود الهند يتحدثون الهندية ولما كانوا بطبيعتهم يحبون العزلة وعدم الانخراط في المجتمعات التي كانت تؤويهم راحوا يستحدثون لهم لغة خاصة بأنفسهم يتوارثونها ويعلمونها لأبنائهم ، وكانت هذه اللغة تعتمد بالدرجة الأولى على الرموز والحساب.

ذكرتني لغة اليهود بقصة طريفة كنا نعيشها ونحن أطفالاً ، فلقد كنا تستحدث فيما بيننا لغة تخاطب نستعلي بها على أقراننا فنتندر عليهم بها ولا يفهمون ما كنا نقول.

وفكرة اللغة باختصار تتمثل في الآتي ، حيث تم اختيار مقطع معين تم الاتفاق عليه فيما بيننا وهو(ستر) ثم نأخذ الكلمة ونقطعها إلى أحرفها الأولى ونلحق بها المقطع المتفق عليه فمثلاً لو أحببنا أن نوجه أمراً لأحد الأقران كأن نقول له : (خذ القلم) وبناء على معطيات اللغة المستحدثة فيما بيننا فإننا نقول : خستر ذستر ، استر لستر قستر لستر مستر ، وكنا نمرح ونضحك لأن زملائنا لا يفقهون شيئاً مما نقول.

هذا الذي استحدثناه هو بالضبط ما فعله اليهود فلقد استحدثوا لغة خاصة أطلقوا عليها اللغة العبرية وكانت ذات طابع خاص بهم والحروف المستخدمة فيها هي العربية.

وتُستخدَم اليوم في كتابة حروف الأبجدية العبرية طريقتان: الأولى، ويُطلَق عليها الحرف المربع، وهي المستخدمة في المطبوعات. والثانية، الخط اليدوي، بالضبط كما هو الحال في اللغة العربية .

وتُقرأ العبرية وتُكتَب، كالعربية، من اليمين إلى اليسار. كما أنها تُكتَب منفصلة بعضها عن بعض.

ولكن بعض اليهود، في إسرائيل، أصبحوا الآن يستخدمون الخط اليدوي بحروف متشابكة نتيجة السرعة في الكتابة .

كما يُلاحَظ أيضاً أنه لا يوجد إعراب في اللغة العبرية، اللهم إلا في بعض الصياغات القديمة. وبالتالي، فإن آخر الكلمات في اللغة العبرية ساكن دائماً ولا تظهر علامة السكون إلا في حالات معيَّنة، وهي :

١ ــ الكاف إذا جاءت في آخر الكلمة .

٢ــ التاء المُصرَّفة مع ضمير المفردة المُخاطَبة .

كما توجد في الأبجدية العبرية خمسة أحرف تتغير طريقة كتابتها إذا جاءت في آخر الكلمة، وهذه الأحرف هي: ك، م، ص، ن، ف. وتجمعها عبارة (كم صنف).

هذا، وتقسَّم حروف الهجاء العبري تقسيماً يلاءم طبيعة النطق بها، حسب اصطدامها بأجزاء الفم المختلفة، وهي كما يلي :

١ ـــ حلقية أ، هـ ، ح، ع (وتُعامَل الراء معاملة الحلقية في بعض القواعد).

٢ ــ شفوية ب، و، م، ف .

٣ــ حنكية ج، ي، ك، ق .

٤ ــ لسانية د، ط، ل، ن، ت .

٥ ــ صفيرية ز، س، ش، ص، ر.

ونتيجة تباين التكوين الاجتماعي داخل إسرائيل بين يهود قادمين من دول الشرق وآخرين قادمين من دول الغرب، فإنه يصعب على يهود الغرب نطق بعض الحروف غير المألوفة في اللغات الأوربية، وبخاصة الحروف الحلقية وحروف الإطباق. ولهذا، فإنهم يتهاونون في إخراجها من مخارجها السليمة، فينطقون العين همزة والحاء خاء والراء غينا والطاء تاء والقاف كافاً.

وكذلك، فإن حرف الصاد ينطق (تسادي) تمشياً مع نُطْق الحرف الألماني.

وفي كثير من الأحيان، يهمل يهود الشرق نُطْق بعض هذه الأحرف مثل يهود الغرب، وبخاصة الطاء والقاف والصاد .

ولكل حرف في الأبجدية العبرية قيمته الرقمية، كما هو مُبيَّن في الجدول.

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ى	ك	ل	م	ن	س	ع
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠
ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ				
٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠				

وترجع أهمية هذه الأرقام إلى أن اللغة العبرية لا تستعمل أرقاماً خاصة، كما في العربيـــة أو الإنجليزية، وبالتالي، فإنها لجأت إلى استخدام حروف الهجاء للتعبير عن الأرقام بعد وضـــع شرطة فوق الحرف للدلالة على أنه يأتي، في هذا الموضع، رقماً وليس حرفاً .

وكانت اللغة العبرية في بادئ الأمر تكتب بدون حركات.

وفي حوالي القرن السادس الميلادي، طرأ إصلاح على الخط العبري، إذ اســتعملت أحــرف العلة أهـ و ي كعلامات للحركات تساعدهم على ضبط النطق وحفــظ الكلمــات كلهــا مــن التحريف .

وبعد انتشار الجماعات اليهودية في أنحاء العالم، أضحت أحرف العلة غيــر كافيــة لــصيانة الكلمات كلها من التحريف. وخشية تغيير لهجة اللغة وضياعها بعد ذلك، وضع عدد من علماء اللغة العبرية في أواخر القرن السابع، أو أوائل القرن الثامن، الترتيــب النهــائي للنــصوص العبرية المشكلة بنظام الحركات للإشارة إلى أصوات المد القصيرة مستنيرين في ذلك بنظــام الحركات عند العرب والسريان، وأحدثوا نظاماً جديداً قوامه النقط والخطوط.

وقد اتُخذت طريقــتان لرسم هذه الحركات، إحداهما الطريقة الطبرية نسبة إلى مدرسة طبرية في فلسطين (وهي الطريقة المُستعمَلة في الوقت الحاضر)، حيث ترمز هــذه الطريقــة إلــى أصوات المد القصيرة بنقط وخطوط تُوضَع تحت الحرف أو فوقه، وقد تتلوها حروف العلــة للدلالة على أن الحركة مشبعة.

أما الطريقة الثانية، فهي الطريقة البابلية، وهذه الطريقة ترمز لأصوات المد القصيرة بعلامات توضع فوق الحرف.

وتنقسم الحركات في اللغة العبرية، كما في العربية، إلى حركات فتح وكسر وضم، بل وهناك أيضاً حركات مخطوفة وحركات ممالة.

وقد أخضعت القبَّالاه الأبجدية العبرية للتفسيرات الصوفية والباطنية فيما يعرف بالجماتريا .
وأداة التعريف في العبرية هي حرف الهاء المُشكَّل بـ(–) مع تشديد الحرف الذي يليه (إذا كان غير حلقي).
ولا تدخل أداة التعريف على العَلَم لأنه معرَّف في ذاته.
وكذلك يمكن استخدام أداة التعريف كاسم إشارة للقريب وذلك مع ظروف الزمان، وأحياناً تحل أداة التعريف محل الاسم الموصول إذا دخلت على اسم فاعل.
وواو العطف في العبرية تقابل واو العطف في العربية، وتأتي لعطف أو لربط اسم باسم أو فعل بفعل أو جملة بجملة، والأصل في تشكيلها في العبرية هو السكون، ولكن هذا التشكيل يتغير في حالات خاصة .
والفعل في العبرية يكون ثلاثياً أو رباعياً، والثلاثي أكثر استخداماً من الرباعي، وتُقسَّم الأفعال في العبرية إلى سبعة أوزان هي :فعل، نفعل، فعيل، فعل، هفعيل، هفعل، هتفعيل.
ويقابلها في العربية فَعَل، فُعِلَ، فَعَّل، فُعِّل، أَفْعَل، أُفْعِلَ، تَفَعَّل .
وينقسم الاسم من حيث نوعه إلى قسمين :
١ــ الاسم المذكر: يكون الاسم مذكراً إذا دل على جبل أو شعب أو نهر .وأغلب أسماء المعادن وأغلب الأسماء التي لا ترد فيها علامة من علامات التأنيث .
٢ــ الاسم المؤنث: يكون الاسم مؤنثاً في الحالات التالية :
أ) إذا دل على مؤنث حقيقي .
ب) إذا دل على اسم دولة أو مدينة .
ج) إذا كان من أعضاء الجسم المزدوجة أو المتعددة .
د) إذا انتهى بعلامة من علامات التأنيث .
وتوجد أسماء لا تظهر فيها علامة التأنيث ولكنها في الأصل مؤنثة، وكذلك هناك أسماء تأتي مذكرة ومؤنثة. وهناك أسماء تختلف صورتها تماماً عند تأنيثها .
ويوجد في العبرية المفرد والمثنَّى والجمع :
١ــ المفرد: هو ما دل على واحد .
٢ــ المثنى: ما دل على اثنين. ولا تُستعمَل صيغة المثنى في العبرية إلا في أحوال خاصة، وهي :
أ) أسماء أعضاء الجسم المزدوجة .
ب) الأعداد المثناة .
ج) أدوات الصناعة المثناة .
د) أسماء الملابس المزدوجة بطبيعتها .

هـ) أسماء الزمان المزدوجة .

٣ ــ الجمع: وينقسم إلى :

أ) جمع مذكر: وعلامته في العبري ياء متبوعة بميم تلحق بآخر الاسم المفرد بعد حذف علامة التذكير المفردة إن وُجدت .

ب) جمع المؤنث: وعلامته واو + تاء تضاف إلى الاسم المفرد وذلك بعد حذف علامة التأنيث المفردة إن وجدت .

وتوجد أسماء مُذكَّرة تُجمَع جمع مؤنث، وأسماء مؤنثة تُجمَع جَمْع مذكر، وأسماء تُجمَع مُذكَّراً ومؤنثاً، وأسماء لا تُجمَع مطلقاً مثل أسماء الأعلام وأغلب أسماء المعاني وأسماء الجنس. وهناك أسماء لا تأتي إلا في صورة الجمع ولا مفرد لها .

والأعداد في العبرية شديدة الشبه بالأعداد في العربية. فالعددان 1و ٢ تأتيان وفق المعدود. أما الأعداد من ٣ إلى ٩ فتأتي عكس المعدود. فإن كان المعدود مذكراً ذكرت الأعداد مؤنثة والعكس صحيح. وألفاظ العقود تأتي في العبرية على صورة واحدة سواء كانت مذكرة أو مؤنثة. وفي حالة عطف الأعداد على ألفاظ العقود يُراعَى أن يكون العدد على عكس المعدود. وتمييز العدد يأتي جمعاً مع الأعداد من ٢ إلى ١٠ ويكون مفرداً في الأعداد المركبة ومع ألفاظ العقود والمائة والألف. والعدد الترتيبي يأتي في العبرية بعد المعدود ويتبعه في التعريف والتنكير والإفراد والجمع والتذكير والتأنيث .

وفي العبرية، إذا جاءت كاف التشبيه قبل العدد أفادت التقريب.

الأحرف باللغة العبرية تكتب متفرقة ومنفصلة عن بعضها البعض ولا توصل الأبجدية العبرية مرتبة ترتيب (أبجد،هوز ،حطي ،كلمن, سعفص،قرشت).

أشكال الأحرف باللغة العبرية وما يقابلها من حرف عربي:

א أ

ב ب

ג ج

ד د

ה ه

ו و

ז ز

ח ح

ט ط

י ي

ק ك

ל ل

מ م

נ ن

ס س

ע ع

פ ف

צ ص

כ ق

ר ر

ש ش

ת ت

وهذه حروف يجب أن تكتب في أخر الكلمة

ץ ص في أخر الكلمة.....

ף ف في أخر الكلمة.....

ן ن في أخر الكلمة.....

ם م في أخر الكلمة.....

א	أ	ב	ب
ג	ج	ד	د
ה	ه	ו	v
ז	ز	ח	ح
ט	ط	י	ي
כ	ك	כ	ك
ל	ل	מ	م
מ	م	נ	ن
נ	ن	ס	س
ע	ع	פ	p
פ	p	צ	ص
צ	ص	ק	ق
ר	ر	ש	ش

ת ت

هناك بعض الحروف الموجودة بالصورة مثل (الكـــاف والمـــيم والنـــون, وال, p والـــصاد) هذه الحروف يختلف شكلها إذا كانت في أول الكلمة وفي أوسطها وإذا كانت في أخر الكلمـــة الحروف التي أشرت عليها بالدائرة الزرقاء هي شكل الأحرف:

(الكاف والميم والنون والبيت p والصاد) في أخر الكلمة .

أما كيفية نطق هذه الأحرف فهي كالتالي:

الألف تنطق آلِف alef

الباء تنطق بيت bet

الجيم تنطق (جيمل)مع ملاحظة أن الجيم هنا تنطق مثل الجيم المصرية jeml

الدال تنطق دالتْ dalt

الهاء تنطق هيتْ het

الفاء تنطق فاف vav تنطق كحرف الفاء باللغة الانجليزيةv

الزاء تنطق زاين zayn

الحاء تنطق حيتْ ٧et

الطاء تنطق طيتْ tet

الياء تنطق يُودْ yood

الكاف تنطق كوف koov

اللام تنطق لامِد lamed

الميم تنطق مِيمْ mem

النون تنطق نُونْ non

السين تنطق سامخْ samekh

العين تنطق عاين أو عَينْ ٣en or 3en

p أو الباء تنطق بيت أو بيْ bet or be

الصاد تنطق تصادك أو صادي tsadek or sade

القاف تنطق كوف أو قُوف koov or vov

الراء تنطق رِيْشْ rysh

الشين تنطق شِينْ sheen

التاء تنطق تيتْ أو تاف v) teet or tav

وحرف الواو فهو في اللغة العبرية ليس حرف مستقل ولكنه عبارة عن حركة الضمة ولكـــن هذه الضمة تنطق كحرف الواو وطريقة نطقه ضمة مع مد(ءُ) أو كحرف o باللغة الانجليزية

أما بالنسبة لشكل حرف الواو باللغة العبرية فقد أرفقت صورة تبين لنا شـــكل حـــرف الـــواو باللون .

حرف(v) الموجود في الصورة الأولى للحروف الأبجدية العبرية ولكن مع وجود نقطـــة فـــي داخل الحرف،لذلك عندما ترى حرف الفاف أو باللغة العبرية v وبداخله نقطة فهو يلفظ حرف (o).

وإليك طريقة تهجئة كلمة شالوم يعني سلام وكيفية كتابتها .

سوف تلاحظ أن تحت حرف الشين حركة باللون الأحمر وهذه هي حركة الفتحة لذلك يلفـــظ الحرف شَ.

إليكم بعض الكلمات الأخرى التي توضح حرف الواو مع حروف أخرى

مثل حرف الهاء والكاف

الكلمة الأولى هي يِهود ومعناها اليهود

الكلمة الثانية هي كوطنه ومعناها القطن

وفي اللغة العبرية تكون الكتابة كما العربية كل حرف ينطق يكتب كما هو وليس كما الانجليزية فلو أردنا كتابة اسم مثلا محمد بالانجليزيةMohammad ولكن بالعبرية نستبدل كل حرف عربي بالحرف العبري دون أي تغيير.

وبالنسبة لاسم محمد هكذا يكتب מחמד كل حرف عربي يستبدل ببديله بالعبري دون التحويل للغة الانجليزية.

وهذه أمثلة لبعض الأسماء :אחמד أحمد..מחמוד محمود..אסאמא أسامة..

עכד אללה عبد الله..وهكذا نغير فقط الحرف بالبديل.

والأسماء ممكن أن تكتب بعدة طرق وتؤدي إلى نفس المعنى و الأمر أسهل من أي لغة والتي تعتمد على التشكيل من خلال حروف العلة والقواعد الأخرى للأحرف الشاذة والتي تنطق على غير شاكلتها، أما في العبرية فكل شيء كما هو مكتوب تلفظه إلا ما ندر من الكلمات.

ألم أقل لك أنها تذكرني بلغتنا المستحدثة حينما كنا صغارا.

والآن تستطيع أن تقرأ هذه الكلمة بسهولة جداً: ترى ماذا تعني؟ حاول وجرب.

عموما هي : ي ر و ش ل ي م (يروشليم) أي القدس بلغتهم وليس لسانهم ...

أخوكم

زهدي جمال الدين محمد